استعادة من فاتهم الركب

مارتن ساندبو يستعرض في كتابه برنامج عمل طموحا على مستوى السياسات لإعادة صياغة اقتصاد يشعر فيه الجميع بالانتماء. ولن يكون أسلوبه في التحليل الاقتصادي المتطور والعرض الشائق مفاجئا للقراء المتابعين لكتاباته في عمود «غداء مجاني» (Free Lunch) في جريدة الفاينانشيال تايمز.

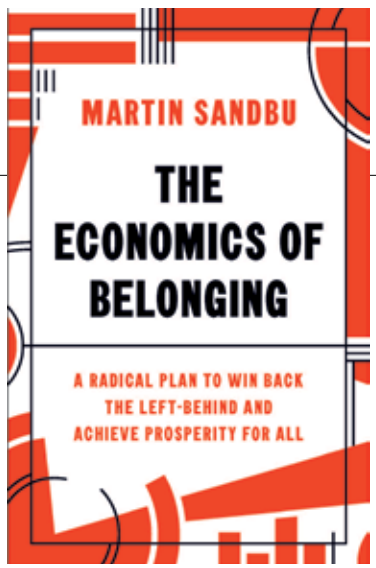

مارتن ساندبو
اقتصاديات الانتماء
Princeton University Press,
Princeton, NJ, 2020, 296 pp., $24.95

والافتراض الأساسي الذي يقوم عليه هذا الكتاب هو أن وراء معارضة الليبرالية السياسية ورفض العولمة في وقتنا الحالي شعورا جارفا بأن الفرص الاقتصادية مقصورة على نخبة لا ينتمي إليها «الناس العاديون».

وهناك كثير من المؤلفين المؤثرين– مثل بيبا نوريس ورونالد إنغليهارت، في كتابهما الشهير *"Cultural Backlash"* (رد فعل ثقافي عنيف) – سبق لهم تقديم الأدلة على أن الاختيارات السياسية للأفراد يمكن تفسيرها بالقيم الشخصية أكثر من العوامل الاقتصادية. وبصراحة أكثر، وفقا لما ذكره هؤلاء المؤلفون، فإن الناس الذين يصوِّتون ضد الهجرة إلى بلادهم يفضلون «من هم من نوعهم». ومغزى ذلك أن العولمة حققت تقدما بخطى أسرع مما ينبغي ويتعين الآن التخفيف من سرعتها للسماح للسكان الأصليين في كل بلد بالحفاظ على ثقافاتهم.

غير أن ساندبو يشير إلى أن المحركات الاقتصادية تظهر على مستوى الأماكن بوضوح أكبر مما تظهر على مستوى الأفراد. فالمناطق التي تشهد تراجعا اقتصاديا تضم عددا ضئيلا من المهاجرين – وهي في الواقع غير قادرة على استقطاب سكان جدد من الخارج – لكنها معارضة للهجرة. ويذهب إلى أن المظالم الاقتصادية تعبر عن نفسها في هيئة رد فعل ثقافي عنيف. فالناس يعتنقون مذاهب القادة الأقوياء نتيجة وهم بأن السيطرة الجماعية تعوضهم عن نقص السيطرة الذاتية على أوضاعهم الاقتصادية. وإذا صح تقدير ساندبو بأن رد الفعل الثقافي العنيف يرجع في نهاية المطاف لعوامل اقتصادية، فإن الفرصة مواتية أمام تحسين السياسات الاقتصادية لاستعادة مقومات البقاء للنموذج السياسي والاقتصادي القائم على الديمقراطية والعولمة.

وبينما تدفع حزمة السياسات التي يقترحها نحو تجاوز الحدود المتوافق عليها في علم الاقتصاد فإنها لن تكون صادمة لمن كانوا يتابعون الجدل الدائر مؤخرا في هذا الشأن. ومن أهم عناصر هذه السياسات الضرائب على صافي الثروة، والدخل الأساسي المعمم (تطبيق ضرائب الدخل السالبة)، وضرائب الكربون وأرباحه الموزعة. وبالاستناد إلى الدروس الإيجابية المستمدة من موطنه الأصلي النرويج (وإلى المقارنة المثيرة للاهتمام بين المحطات الآلية لغسيل السيارات في البلدان الاسكندنافية وقرينها من المحطات كثيفة استخدام العمالة في الولايات المتحدة)، يدعو ساندبو إلى تطبيق الحد الأدنى للأجور بحكم الواقع. وسيدفع ذلك أصحاب العمل إلى اختيار عمليات أكثر إنتاجية، بدلا من خلق وظائف منخفضة المهارات. ولتلافي مخاطر البطالة للعمالة منخفضة المهارات، يدعو ساندبو إلى زيادة الإنفاق على التعليم وإعادة التدريب، إلى جانب تقديم دفعات تنشيطية قوية لتحفيز الطلب. وسوف يستمتع الاقتصاديون بالدخول في مناقشات حول مزايا وعيوب كل من هذه السياسات. وهي سياسات يشير إليها ساندبو بدرجة كبيرة من المعقولية بأنها مكملة لبعضها البعض ولا تنجح إلا كحزمة متكاملة.

ويتضمن هذا الكتاب استعراضا شاملا وشائقا لآخر التحليلات الاقتصادية للعوامل التي ترتكز عليها جهود الدوائر الانتخابية في سياق نموذج الديمقراطية/العولمة. وكنت أود لو أن المؤلف تعمق أكثر في استعراض فن الإقناع السياسي. وحتى لو كان مصدر السخط في آخر المطاف ذا طابع اقتصادي، فإن الرسائل السياسية التي تلقى صدى إيجابيا مع أفضليات السلوك الأخلاقي لدى الناس تتمتع بفرصة أكبر لتمريرها داخل البرلمان. ويتخذ ساندبو خطوات مبدئية في هذا الاتجاه. فيستعرض، على سبيل المثال، منظورا يمينيا مثيرا للاهتمام حول الدخل الأساسي المعمم. ويشير كذلك إلى سهولة تعطيل جهود الإصلاح المجزأ أكثر من حزمة سياساته الطموحة. وأنا كقارئ يحدوني الأمل في مطالعة المزيد من التحليلات لكيفية التغلب على العقبات السياسية في كتب ساندبو وأعمدته الصحفية القادمة. FD

باولو ماورو يعمل نائبا لمدير إدارة شؤون المالية العامة بالصندوق.